البحر الأبيض المتوسط

محور السياسة الأوربية في الوقت الحاضر

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

سياسة البحر الابيض المتوسط فى الوقت الحاضر هى السياسة الاوربية أو السياسة العالمية عامة فى حيز الاختصار . وما من دولة فى أوربا إلا وهى تحسب حساباً للبحر الابيض المتوسط، إما للسيطرة عليه أو لاتقاء الخطر من جانبه أو للتفاهم بينها وبين الدول التى لها نفوذ فيه

قال بول موران فى كتابه « طريق الهند » :

« كنت فى الصيف الماضى بضيافة ملك النفط ، ذلك الرجل الهادىء الجياش والحاسب الخالب الاريب . فرأيته في حديقته المطاولة لحديقة وندسور الملكية ، وسمعت منه وهو يهم بالابتسام كلمات صارمة وحقائق خفية تصعق كثيراً من رجال السياسة عندنا وعند غيرنا لو أنهم أحاطوا بما وراءها ، ويحضرنى منها الآن قوله : « ان لفرنسا جيشاً جراراً يعتمد كله على الآلات المتحركة . ففى الساعة الحاسمة تعلمون أن النفط الذى لديكم لا يكفيكم أكثر من خمسة عشر يوما »

« وكذلك نرى يوم يقع الصدام أننا بغير ملكة البحار أو بغير المحالفة الانجليزية لن يكون سلاحنا بحذافيره إلا حدائد مفلولات »

ومن ثم أصبحت الحكومة الفرنسية تحسب حساب السياسة البريطانية فى كل شىء ، وتكاد تتبعها فى كل طريق ، وهى على سبيل الحيطة تضاعف ما تستطيع مضاعفته من سفن الاسطول فى البحر الابيض المتوسط ، وتزيد عدد غواصاتها حتى بلغت ثلاثا وثمانين الى جانب الثلاث والخمسين التى فى الاسطول البريطانى ، وهى أقل فى الدوارع والنسافات من بريطانيا العظمى ، ولكنها تعتمد على أن دوارعها ونسافاتها تعمل فى البحر الابيض وحده أو فى البحر الابيض والمحيط الاطلسى وقليل من البحار الاخرى ، خلافا لبريطانيا العظمى التى تتفرق دوارعها ونسافاتها بين جميع البحار حول الجزائر البريطانية والهند والمستعمرات الافريقية وسنغافورة واستراليا وزيلندة وكندا وما وراء ذلك من الاملاك والملحقات . وتحاول فرنسا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أن تعوض نقص الاسطول بزيادة الاسلحة الجوية ، ولا تغفل ساعة عن مركزها ومركز الدولة البريطانية فى شواطىء البحر الابيض الغربية أو الشرقية

فالبحر الابيض المتوسط يربط بين السياستين الانجليزية والفرنسية من هذا الجانب رباطا وثيقا لا تكف الدولتان عن التأهب له أو التفكير فيه

ولقد غيرت بريطانيا العظمى خطتها فى الاستعداد الحربى تبعاً للحالة التى جدت ولا تزال تجد فى ذلك البحر الجامع المحفوف بالاعاصير السياسية ، فالتفتت إلى سلاح الطيران بعد أن طال إهمالها إياه اغتراراً بعظمة الاسطول ورجحان القوة البحرية ، وأخذت فى تنظيم وزاراتها على نمط جديد بحيث تشتمل وزارة البحرية على طيارات السفن وما اليها ، بعد أن كانت الطيارات كلها تابعة للقسم الجوى ، ولا شك فى أن هذه الحالة قد كان لها شأن عظيم فى توجيه الانتخابات الماضية وقيام الحكومة البريطانية الحاضرة ، فلولا عوارض البحر الابيض المتوسط لما نجح حزب المحافظين ولا فشل حزب العمال ومن يواليه من الاحرار

ومنذ اليوم تحسب الدولة البريطانية حساباً للطوارىء البعيدة فتهتم بالطريق البحرى حول أفريقية وبالقواعد البحرية فى سنغافورة وغيرها من الشواطىء الاسيوية

وتحسب كذلك حساباً لهذه الطوارىء فى علاقاتها بكل أمة كبيرة أو صغيرة تطل على البحر الأبيض المتوسط . فهى دائمة الاتصال باليونان وتركيا ، ومشغولة بالتقلبات الداخلية فى البانيا ويوغسلافيا ، ومكترثة بعد طول الاعراض بالقضية المصرية ، ومن آثار هذا الاكتراث أنها فتحت باب المفاوضات فيها وتطرقت منها الى الاتفاق الأخير

أما ايطاليا فهى تسمى البحر الأبيض بحرنا (Mare Nostrum) كما كان يسميه الرومان ، وتطمع بغير مراء فى السيطرة عليه بعد حين يقصر أو يطول ، وتحاول من ثم أن تشرف على السياسة النمسوية والبلقانية وتمد شباكها الى الأقاليم التركية . ومن مطامعها أو من أحلامها أن تخلف فرنسا وانجلترا على شواطئه الأفريقية ، ويزين لها ذلك أنها تملك المضايق بينها وبين صقلية وبين صقلية والجزيرة الصغيرة المعروفة باسم بانتلاريا « Pantellaria » وبين هذه الجزيرة وتونس وإلى جانبها من الشرق برقة التى لها قيمة عسكرية أكبر من قيمتها الاقتصادية

وبديه أن الدول الصغار على شواطىء البحر الأبيض تهتم بالحالة فيه أشد من اهتمام الدول الكبار ، وتتقلب الحوادث بين شعوبها على حسب التيارات التى تتجه اليها المنافسات بين من يحاولون السيطرة على شواطئه من بعيد أو قريب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فاذا وقع حادث خطير فى اليونان أو يوغسلافيا أو البانيا أو ما يليها من شعوب البلقان فثق أن هذا الحادث لا يخلو من أصبع للمنافسة بين الانجليز والطليان على الخصوص

ففى اليونان مثلا حزب الاحرار وحزب المحافظين ، أو حزب الجمهوريين وحزب الملكيين . ومن المعروف أن حزب الأحرار هو الحزب الذى أنشأه فنزياوس وجنح به الى جانب ايطاليا بعد أن يئس من مناصرة الانجليز إياه فى غارته على آسيا الصغرى . فما زال الانجليز يغضون النظر عن الصراع بين الحزبين حتى اشتد الصراع بينهم هم و بين الطليان منذ سنتين ، ومن ذلك الحين أصبحنا نسمع بانقلاب خطير فى السياسة اليونانية كلما تغلب الأحرار وأوشكوا أن يقبضوا على زمام الحكومة ، وآخر ما كان من ذلك عودة الملكية الى اليونان ثم اعلان الدكتاتورية فى أغسطس الماضى على يد الجنرال « متكساس » بعد أن تعادل الحزبان وأفضى الى مجلس النواب خمسة عشر نائباً شيوعياً يوازنون بين الكفتين

وفى يوغوسلافيا يلاحظ أن الميول الانجليزية غالبة على البلاط والوزارة والعسكريين هناك . فالملك بطرس الثانى كانت له مربية انجليزية ثم ارسل الى انجلترا ليتعلم فيها ثم عاد الى بلاده بعد مقتل أبيه وله مرب من الانجليز . وليس ذلك عن حب انجلترا بل عن كراهية لايطاليا ، لأنها لا تخفى مطامعها فى تلك المملكة الحديثة التى تواجهها على بحر الادرياتيك . ومنذ استفحل الخلاف بين الصربيين والكرواتيين وأدى ذلك الى قيام الدكتاتورية وسخط القوميات الصغيرة ومقتل الملك اسكندر بيد واحد من المقدونيين ، أصبحت الشعوب المختلفة التى تشملها مملكة يوغسلافيا وهي تتنازع الولاء بينها ، تارة الى الانجليز وتارة الى الطليان او الألمان ، وهذا هو المرجل الذى يخشى ان يحدث الانفجار بين الدول الصغار والدول الكبار

وفى اسبانيا ما كان احد يظن ان الدولة البريطانية تغضى عن الحكومة الشيوعية هناك ، لولا ان الفاشيين الاسبان يطلبون النجدة من ايطاليا و يساومونها على جزائر البليار أو على ميناء سبتة فى الضفة الافريقية ، ولولا ان انجلترا وفرنسا وايطاليا يعنيهن جميعاً ان تظل الحكومة الاسبانية ضعيفة الأسر منهوكة القوى لما استعصى عليهن وهن مجتمعات ان يتوسلن باحدى الوسائل الناجعة الى فض النزاع و إخماد لهيب الحرب الأهلية ولو الى اجل قريب

وقد عرفت تركيا الكمالية فرصتها السانحة فنهضت فى هذه الآونة لتحصين المضايق التى كان تحصينها محرما عليها ، فاذا بالدول يقبلن منها هذه المخالفة لاقامة الحواجز فى وجه الروسيا ، واذا بالروسيا لا تكره هذه الحواجز لأنها تصد عنها بعض الهجمات وقد تنفتح لها عند الضرورة

متى تحسنت العلاقات بينها وبين الحكومة التركية

ويظهر ان الروسيا تريد ان تقلل من تعويلها على البحر الأبيض المتوسط ، فهى قد انشأت وزارة خاصة أو ادارة مركزية لفتح الملاحة فى البحار القطبية ، واستطاعت صيف سنة ١٩٣٥ أن تسير السفن الموقرة بالمؤونة والمسافرين فى تلك البحار المهجورة ، وفتحت قناة من بحر البلطيق الى الشمال فاختصرت المسافة بين لننجراد واركانجل من ٢٨٤٠ الى ٦٧٤ ميلا بحريا ، وشرعت فى مد الخطوط الحديدية شمال الخط الممدود الآن بنحو مائتين وخمسين ميلا ، وعمرت مدن سيبيريا على أفواه الأنهار وشواطىء المحيط المنجمد لتنظيم الانتقال بين أطراف تلك البقاع الواسعة . ومهما يقل القائلون فى تعليل ذلك بالأغراض السلمية والكشوف العلمية فالذى لا مراء فيه أن أهبة الحرب فى مقدمة الأغراض التى تجرى من أجلها هذه الأعمال الضخام

ومع هذا لا نخال الروسيا مفلحة فى اجتناب البحر الأبيض المتوسط ولا قادرة على إغفال السياسة التى تدبرها الدول المشرفة عليه أو تنوى هى تدبيرها تطبيقاً لمذهب الشيوعية أو إحباطاً لبعض المساعى التى تنتى عواقبها الخفية . وأمامنا موقف الروسيا من مشكلة اسبانيا شاهد قوى على مكان هذا البحر من الخطط الروسية

* * *

ذلك هو مجمل الحالة التى تدور عليها سياسة البحر الأبيض المتوسط ، وسوف يزداد اهتمام الدول بهذه السياسة ويشتد التنافس بينهن على توجيهها والأخذ بناصيتها . ولا نظن الاتفاق المعروف باتفاق « الجنتلمان » بين انجلترا وايطاليا يغنى شيئاً فى هذه المنافسة المستحكمة ، الا أن يمهد الطريق للتراجع الى ضرب من العداء المستتر أو المودة الظاهرة ، وغاية ما يرجى من حالة التنافس بين الدول المعنية بالبحر الأبيض المتوسط أنه يتيح للأمم الصغيرة التى على شواطئه أن تعزز قواها وتستكثر من جندها وسلاحها ، لأن الدول الكبار لا تجرؤ على منعها والاستبداد بأمرها حرصاً على رضاها ومخافة من انتقاضها . ولعل هذه القوة التى تستفيدها الأمم الصغار تحمى السلام فى العالم وتخفف بعض الشىء من أخطار الحروب ، لأن تسخير هذه الأمم أو احتلال بلادها ضرورى للدولة الكبيرة التى تقدم على الحرب فى الأحوال الحاضرة ، وليس من السهل أن تستباح بلاد يملك أبناؤها السلاح ، ويقدرون على المقاومة والاستقلال أو المعاونة القائمة على حرية الاختيار

عباس محمود العقاد